من ذكريات أستاذ مصري عن التعليم العالي في عسير (*)

أ. د . إبراهيم صبري محمود راشد

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء الثامن عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص ص٢١٦ - ٢٢١ .

٦- من ذكريات أستاذ مصري عن التعليم العالي في عسير. بقلم . أ. د. إبراهيم صبري محمود راشد [١].

أخي الفاضل الكريم ، أبا المثنى ، أ. د. غيثان بن علي بن جريس ، حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد. فاستجابة لما أردتموه من مشاركة. بشهادتنا وتجاربنا. في مشروعكم العلمي حول " التعليم العالي في منطقة عسير" ، وقد ذكرتم أن ما يصلكم من مشاركات سيقسم إلى محورين : (١) التعليم العالي في عسير (١٣٩٦-١٤١٨هـ) (٢) جامعة الملك خالد في عيون من عاصرها أو عمل فيها. وتعلمون أني قدمت إلى أبها معاراً من جامعتي بمصر (جامعة الأزهر) مرتين ، وعملت فيها فترتين. الأولى من (١٤١٥/٩/٦- ١٤٢٢/٥/٢٤هـ الموافق ١٩٩٤/١١/١٣- ٢٠٠١/٨/١٥م) . سبع سنوات، خمس منها في ظلال جامعة الملك سعود ؛ حيث كان عملي في كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، فرع أبها، وتحديداً في : شعبة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بكلية التربية. وفي أثناء العام الخامس صدر القرار بإنشاء جامعة الملك خالد ، وبدأت إجراءات ضم فرعي جامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة الملك خالد ؛ ولذلك كانت السنتان الأخيرتان في الإعارة غريبتين ؛ حيث كانت تبعيتنا)وأعني : أعضاء شعبة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بكلية التربية (إلى جهتين : أساتذة اللغة العربية يتبعون كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية ،وأساتذة الثقافة الإسلامية يتبعون كلية الشريعة وأصول الدين ، وتوقف أساتذة اللغة العربية عن تدريس مقررات الثقافة الإسلامية التي كانوا يدرسونها سابقاً[٢] .

---

(١) الدكتور إبراهيم راشد مصري الجنسية حصل على درجة الليسانس من جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالمنصورة عام (١٩٨١م) . وتعين معيداً بقسم الأدب والنقد في الكلية نفسها في (١٩٨٢/٦/١٠م) ،وحصل على درجة الماجستير عام (١٩٨٦م) ، والدكتوراه عام (١٩٩١م) في تخصص الأدب العربي القديم ونقده ، وقد حصل على درجة الأستاذية عام (٢٠٠٧م) . عمل بجامعتي الملك سعود والملك خالد في المملكة العربية السعودية حوالي عشر سنوات . وهو الآن (١٤٤١هـ/٢٠١٩م) أستاذ الأدب والنقد ووكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة (فرع جامعة الأزهر) .وهو عضو في عدد من الجمعيات والمؤسسات الأكاديمية ، كما أشرف على الكثير من رسائل الماجستير أو الدكتوراه ، له حوالي عشرين كتاباً أو بحثاً مطبوعة ومنشورة في مجال تخصصه . وقد عرفت الأستاذ الدكتور إبراهيم راشد عن قرب فوجدته عالماً في تخصصه ، نشيطاً في متابعة كل جديد في العلم الذي تخصص فيه . كما أنه على قدر كبير من الأدب ، واللطف وحسن الخلق والمعشر. (ابن جريس) .

(٢) اطلعت على دليل لأعضاء هيئة التدريس، بقسم اللغة العربية وآدابها أثناء نشأة وتأسيس جامعة الملك خالد (١٤١٩- ١٤٢٠هـ/١٩٩٨-١٩٩٩م) ، وكان عددهم (٣٧) عضواً ، هم (١) أ. د . عبدالله بن محمد أبو داهش (رئيس القسم) (أدب الجزيرة العربية) . (٢) أ. د. عبدالكريم بن محمد البكار (فقه اللغة). (٣) د. محمود بن عبدالله أبو الخير (أدب قديم) (٤) د. مصطفى بن حسين عناية (أدب قديم) .

أمـا الفترة الثانية ، فكانت بعد سبـع سنوات من نهاية الفترة الأولى ؛ حيث تقضي اللوائـح في مصـر بضـرورة قضاء مـدة مماثلة لمـدة الإعـارة السابقة قبـل أن يتقدم عضـو هيئـة التدريس بطلـب استكمال مدته إعارتـه؛ ومن ثم كانت الفـترة الثانية من (١٤٢٩/٧/١٠هـ ـ ١٤٣٢/١٠/٥هـ الموافـق ٢٠٠٨/٨/١٠ ـ ٢٠١١/٤/٩م) ، وفيهـا كـان العمـل في ظلال جامعة الملك خالد ، وكان لي مشاركة في وضع برنامج الدراسات العليا لقسـم اللغة العربيـة وآدابها في كلية العلـوم الإنسانية ، وقمت بتدريـس مقرري الأدب العربي القديم ، ومناهج البحث والتحقيق لطلاب وطالبات برنامج الماجستير .

وبنـاءً على ما سبق تـرى أنه يمكن لمشاركتي ـ إن كان لها من فائدة ـ أن تفيدكم في المحوريـن جميعـاً . وهـاك ما تسمح بـه الذاكرة ، ومـا أجده مدونـاً في أوراقي : في الصبـاح الباكر لأحد أيام شهر نوفمبر لعام (١٩٩٤م) كان وصولي إلى أبها ، وتوجهت مـن فـوري من المطار إلى كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، فرع أبها ، وكانت آنئذ على الحـزام الدائري في مبنى مستأجـر (لازلت أذكر ذلك لطرافته بالنسبة لقادم من بلد لا يعـرف مثل ذلك) من السيـد/ سليمان حبتر . تركت حقائبـي عند البوابة واتجهت بالخطـاب الذي سلم لي من الملحقية الثقافية بالقاهـرة إلى مكتب العميد (وكان آنئذ : د. عبدالوهـاب بابعـير) الذي استقبلني مرحباً وضاحكـاً ببعض مواقف يحفظها من

(٥) د. إبراهيم بن حامد الإسناوي (نحو وصرف) . (٦) د. إبراهيم صبري راشد. (أدب ونقد) . (٧) د. جمـال عبدالعزيـز أحمد (نحو وصرف) . (٨) . د. حمدي بـن عبدالفتاح مصطفى (نحو وصرف) . (٩) د. خالـد عبدالقـادر الدوفش (أدب ونقد) . (١٠) د. خطري عرابـي أبو ليفة (أدب ونقد). (١١) صالـح ابـن غرم الله زياد الغامدي (النقد الأدبي) (١٢) د. عبدالباسط محمد الطاهر (نحو وصرف). (١٣) د. عبدالفتـاح السيـد نوفـل (بلاغة ونقـد) . (١٤) د. عبدالله بن محمد الحميِّـد (أدب قديم) . (١٥) د. علـي إبراهيـم محمد محمد (أصول اللغة) . (١٦) د. علـي بن محمد العطار (بلاغة ونقد) . (١٧) د. غانم السعيد محمد غانم (الأدب والنقد) . (١٨) د. محمد عبدالمنعم عجمية (الأدب والنقد) . (١٩) د. محمد بن حسن العمري (نحو وصرف) . (٢٠) د. محمد بن حسين المحرصاوي (نحو وصرف). (٢١) د.محمـد بـن علـي الحازمي (نحـو وصـرف) . (٢٢) د. محمد محمـد الغربـاوي (أدب ونقد) . (٢٣) د. محمـود عبدالعزيـز عبدالفتاح (فقه اللغـة) . (٢٤) د. هاني عبدالمقصـود الفرنواني . (نحو وصرف) . (٢٥) د. يحيى بن محمد عطيف (البلاغة والنقد) . (٢٦) د. حسين بن عثمان الحكمي (نحو وصـرف). (٢٧) أ. عبدالرحمـن بن أحمـد الفيفي (فقه اللغـة). (٢٨) أ. عبدالله بـن عون الشهراني (نحـو وصـرف). (٢٩) أ . عبدالله بـن عيسى الجعفري (نحو وصـرف) . (٣٠) أ. قاسم بن أحمد عبد الله (الأدب القديم). (٣١) أ. محمد بن ناصر الشهري (نحو وصرف) . (٣٢) أ. مطلق بن محمد شائع (نقـد وأدب). (٣٣) أ. يحيـى بن عبدالله الشريف (نحو وصـرف) . (٣٤) أ. أحمد بن عبدالله التيهاني (الأدب القديم). (٣٥) أ. خالد عبدالله القرعاوي (نحو وصرف) . (٣٦) أ. علي بن فائز الشهري (نحو وصرف). (٣٧) أ . محمد بن علي العمري (نحو وصرف) . (ابن جريس) .

الأعمال المسرحية المصرية ،وكان- كما عرفت بعد ذلك- محباً لهذا الأمر ، معروفاً به ، ثم وجهني بعد قليل ووجه معي من صحبني إلى إدارة الجامعة ، وكانت آنئذ في مجموعة مبانٍ على طريق الخميس لإنهاء إجراءات التعاقد . وفي صباح اليوم التالي كان تعريفي إلى (شعبة اللغة العربية والثقافة الإسلامية) وإلى زملائي بها : د. خالد عبدالقادر الدوفش، يتولى تنسيق عمل الشعبة بوصفه مقرراً لها ؛ ولم يكن ثمة قسم للغة العربية بكلية التربية، وإنما هذه الشعبة تقوم بتدريس مواد الإعداد العام لجميع طلاب الكلية (في أقسام الفيزياء ، والكيمياء ، وعلوم الحياة ، واللغة الإنجليزية ، والتاريخ، والجغرافيا...) ، وإلى جوارهم طلاب كلية الطب . وكانت تتبع قسم التربية ، وفيها من الزملاء غير الدوفش : الشاعر سوري الجنسية ، ومصري الدراسة والهوى د. عبدالهادي حرب ، والفقيه الأديب الشيخ إبراهيم الحريري)وقد حصل على درجة الدكتوراه بعد ذلك من إحدى الجامعات السودانية ، أم درمان على ما أذكر (، والدكتور عبدالعزيز شرف الدين [1]. وكان معنا في عامي الأول بأبها زميل سعودي لم يمكث سوى عام وبعض عام ثم سافر في بعثه إلى جامعة بريطانية وهو د. عبدالحكيم المطرودي ، وانضم إلينا بعيد وصولي زميل من مصر ومن جامعة الأزهر د. علي سيد أحمد جعفر، وفي العام التالي جاءنا من كلية دار العلوم- جامعة القاهرة الزميل الدكتور حسين عبدالغني سمرة ، فكنا سبعة (إذ لم نحتسب د. المطرودي) أربعة منهم تخصصهم العام في اللغة العربية (أنا ، والدوفش ، وعبدالهادي حرب ، وتخصصنا الدقيق في الأدب والنقد ، والرابع علي جعفر وتخصصه الدقيق في أصول اللغة) ، والثلاثة الباقون متخصصون في علوم الشريعة (الحريري ، وشرف الدين ، وحسين سمرة) .

كانت المقررات التي نقوم بتدريسها ستة مقررات ، اثنان في اللغة العربية، المهارات اللغوية ، ورمزه (١٠١) عرب ، والتحرير العربي ، ورمزه (١٠٣) عرب ، وكنت أسمع من الزملاء أن قد كان ثمة مقرر ثالث في : التذوق الأدبي ، لكن أكتفي في مواد الإعداد العام بما ذكرت ، وأربعة مقررات في الثقافة الإسلامية ، مدخل إلى الثقافة الإسلامية ، ورمزه (١٠١) سلم ، والإسلام وبناء المجتمع ، ورمزه (١٠٢) سلم، والنظام الاقتصادي في الإسلام ، ورمزه (١٠٣) سلم ، والنظام السياسي في الإسلام، ورمزه (١٠٤) سلم، وهي قسمة رائعة شاملة كافية لوجوه دراسة الثقافة الإسلامية ، وكنا- سواءً في ذلك أساتذة اللغة العربية وأساتذة الشريعة- نتشارك في تدريس فرعي المقررات : اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية إلا أننا تعارفنا على ترك

(١) لقد عاصرت هؤلاء الأساتذة ، وكانوا على قدر كبير من الأدب والفضل والخلق . (ابن جريس) .

المقررين الأخيرين في مقررات الثقافة الإسلامية ، (١٠٣) سلم ، و (١٠٤) سلم لأهل التخصص، وأعفيناهم إلا عند الاضطرار من تدريس مقرري اللغة العربية .

وأذكر أن زاملنا لمدة عامين زميل سوري اسمه د. غسان بديع السيد ، وهو متخصص في الأدب والنقد ، ومترجم لعدة كتب في الأدب المقارن ، وكان يترجم عن الفرنسية) ، وعندما قدم إلينا وشرحنا له النظام ، وأنه سيسند إليه تدريس مقرر أو اثنين في الثقافة الإسلامية إلى جوار مقرري اللغة العربية انزعج غاية الانزعاج ، وقال إنه على استعداد للعودة من حيث أتى إن أصررنا على ذلك ، فتنزلنا عند رغبته وقصرنا جدوله على مقرري اللغة العربية فقط . وكان يضاحكه بذلك ويشاكسه زميلنا الذي أتى معه في العام نفسه ولكن من مصر ، وهو الزميل د. محمد الغرباوي (الآن : عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق ، فرع جامعة الأزهر) ، الذي قبل عن طيب خاطر أن يحمل ما كان سيسند إلى د. غسان من مقررات الثقافة الإسلامية ، فكان لا يكف عن مناداته بالشيخ غسان ، ويطلب إليه مداعباً عند صلاة الجماعة أن يؤمنا .

كان د. بابعير قد عرفني عند مقابلته إياي في الملحقية الثقافية بالقاهرة قبل التعاقد ـ بهذا النظام لما رأى أوراقي ناطقة بالتخصص في الأدب العربي القديم ، قال: ليس لدينا قسم للغة العربية كما هو الحال في الرياض ، في الجامعة الأم ، ومعنى هذا أنك ستدرس مواد الإعداد العام في اللغة العربية وفي الثقافة الإسلامية ، فقلت : أنا أزهري ، ولا صعوبة في الأمر بحول الله ، فعاد وأكد : ليس لدينا مواد تخصصية في الأدب والنقد ، فأبديت قبولي ، ثم كانت خطتي أن أعوض توقفي عن تدريس مواد التخصص بالعمل الجاد في القراءة في التخصص ، وجمع المادة العلمية لبحوثي ، إن لم أتمكن من إنجازها فعلياً ؛ ولذلك وثقت صلتي بما رأيته متاحاً لي من مكتبات عامة وخاصة في أبها وخارجها ؛ مثل : (١) مكتبة كلية التربية في أبها ، وكانت جيدة إلى حد كبير ، وعن طريق أمينها تعرفت إلى إمكانية استعارة الكتب من المكتبة المركزية لجامعة الملك سعود في الرياض عن طريق البريد ، ولم أتوان في ذلك .

(٢) مكتبة النادي الأدبي في أبها ، وكان لي مع النادي نشاط لم يتوقف عند تحكيم الأعمال المقدمة للنشر في النادي ، وتحكيم المسابقات الثقافية ، وإنما امتد إلى كتابة باب في ملف (بيادر) ـ وهو ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي ـ حيث كتبت لمجلة (بيادر) : (استراحة بيادر ، في رياض الأدب) وهي مختارات أدبية منوعة ، بدءاً من العدد الخامس عشر (الصادر في ربيع الآخر (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) إلى العدد

الرابع والعشرين (الصادر في ربيع الآخر ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) [١]. (٣) مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض . ولا أنس فضل انتظام البريد من أبها وإليها في حصولي على درر ونفائس من مكتبة الدوريات ومكتبة المخطوطات في هذا المركز العامر الزاهر دوماً بفضل الله ، ومن مجلس النشر العلمي لجامعتي الإمام محمد بن سعود ، والملك سعود . (٤) ثم كان تواصلي مع مجلة العرب ، والعلامة الشيخ حمد الجاسر ، وقد كان هذا باباً لخير وعلم لا حد له . لم يكن في هذه الفترة سنة (١٤١٥هـ) وما تلاها بعدة سنوات قد شاع الاعتماد على البريد الإلكتروني ، فكان البريد البرقي هو الوسيلة المتاحة ، وعن طريقه ، وبفضل انتظامه كان تواصلي مع العالم داخل المملكة وخارجها .

وأعود إلى نظام العمل والتدريس فأقول : كنا - بالإضافة إلى طلاب كلية التربية - ندرس طلاب الطب هذه المقررات التي ذكرتها ، وكلية الطب في مجموعة مبانٍ مستأجرة في مرتفع يقابل كلية التربية ولا يبعد عنها كثيراً . وفي الغالب كان طلاب الطب يأتون إلينا في كلية التربية ، ونلحقهم بما يناسبهم ولا يتعارض مع محاضراتهم من مواعيد محاضرات الشعب المختلفة في كلية التربية ، وفي أحيان قليلة كنا نذهب إليهم في إحدى قاعات الدراسة بمباني كلية الطب . وكنت أفضل التدريس لهم لارتفاع مستواهم العلمي والتحصيلي قياساً إلى طلاب التربية حتى في أفضل مستوياتهم .

واستمر نظامنا هذا في التدريس حتى بعد انضمامنا إلى كليتي اللغة العربية ، والشريعة ، ذلك أنه حين ألحق أساتذة اللغة العربية بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية ، وكان رئيس القسم آنئذ أ. د. عبدالله بن محمد أبو داهش ذهبنا إليه وأطلعناه على جداولنا ونظام عملنا ، وكان - بالطبع - مختلفاً عما اعتاده في ظل نظام جامعة الإمام محمد بن سعود ، فقال لنا : أنتم أدرى بشأنكم هذا ، واتفقنا على تعديل الجداول الدراسية بحيث يكون لنا يوم نحضر فيه إلى القسم في مقر كلية اللغة العربية بشمسان ، ونشارك في أنشطة القسم ، والأمسيات الثقافية ، والمحاضرات العامة بالكلية ، وكان القسم عامراً بعدد من الأساتذة ، منهم د. عبدالكريم بكار ، ود. محمود بن عبد الله أبو الخير ، ود. مصطفى حسين عناية ، ود. صالح بن غرم الله زياد (الذي انتقل بعد ذلك إلى جامعة الملك سعود) .

---

(١) كان الدكتور إبراهيم راشد مشاركاً معنا في جميع الأعداد التي توليت تحريرها والإشراف عليها من عام (١٤١٦-١٤١٩هـ/١٩٩٥-١٩٩٨م) .

وحين عدت إلى أبها في العام الجامعي (١٤٢٩-١٤٣٠هـ/٢٠٠٨-٢٠٠٩م) كانت الجامعة قد انتقلت إلى موضعها الحالي (حي القريقر) ، بكامل كلياتها وكثير من إداراتها ، وشرعت في وضع برنامج الدراسات العليا في كلية العلوم الإنسانية (وأظنها التسمية التي حلت محل: كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية) ، وقد شاركت - بحمد الله - في وضع برنامج الماجستير لقسم اللغة العربية وآدابها ، وقمت بتدريس مقرري الأدب العربي القديم ، ومناهج البحث والتحقيق لطلاب وطالبات برنامج الماجستير ، ثم غادرت أبها في (١٤٣٢/٧/١١هـ/ ٢٠١١/٦/١٣م) قبل أن يشرع هؤلاء الطلاب والطالبات في تسجيل موضوعاتهم للماجستير ، وكنت اقترحت على بعضهم موضوعات للعمل فيها ، بل إن الطالبة الوحيدة التي كنت أشرف عليها لم تستطع أن تكمل موضوعها قبل سفري ، وتولى الإشراف عليها بعدي الدكتور عبدالحميد الحسامي، وانتهت منه بعد عدة سنوات . وأما طلابي وطالباتي الذين درست لهم في الدراسات العليا لبرنامج الماجستير ، فقد انتهى عدد منهم الآن من الدكتوراه ، وأتابع نشاطهم بمنتهى الغبطة والانشراح حرر في (١٤٤١/٣/١١هـ الموافق ٢٠١٩/١٠/٨م) .